

علاقات أنقرة والرياض جفاء وودادا



فإن كانت السياسة وخلفيات المصالح تتطلب الوثام، فالطرفان من أهل السنة. أما إن كانت الغيوم ملبدة، فالسجال يجري حثيثاً بين وهابيين أصوليين وصوفيين ذوي طرق وبركات مشايخ. ومن بين العوامل المهمة في التاريخ الحديث والمعاصر، الشراكة الاقتصادية، والتحويلات في العلاقات البنينة التي يشهدها المشرق العربي، والصرعات فيه، وأحداث شرقي المتوسط.

ولعل أطرف ما في العلاقات السعودية التركية، صداماً ووثاماً، أن لكل مرحلة، من الجفاء والوداد، أسبقياتها وتكرياتها، لذلك توصف تاريخياً بأنها متارجحة. فممن أن لوحظت الإشارات الأولى للتقارب التركي - السعودي، ورُصدت إشارات أخرى تدل على موقف رسمي تركي أخف حنقاً تجاه مصر، وقيل في السياق إن اتصالات أمنية حدثت؛ كان متوقفاً أن تظهر مستجدات أخرى، بعد حسم الانتخابات الرئاسية الأميركية.

ومن ناقل القول أن الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، يتحرك في السياسة بعقلية التاجر، ما يجعل لزاماً على من يتحالفون معه على أرضية عقائدية أو مبدئية أن يأخذوا حذرهم، مثلما يتعين على من يتحالفون معه على أرضية سياسية وإستراتيجية أن يحاذروا أيضاً. ولا ينطبق التنويه على ضرورة أخذ الحذر، على أنظمة الحكم في البلدان الأخرى وقوى المعارضة فيها وحسب، وإنما يشمل رجال الدولة الأتراك أنفسهم، الذين خبروا أردوغان، لكنهم مازالوا

يسبقونه ويزيدون عليه في شرح موقفه، ولا يتوقعون أن يتغير في اليوم التالي، فيخرجهم. ففي معرض الجواب عن سؤال حول فرضية مقاطعة السعوديين للبضائع التركية، رد نعمان كورتلموس، نائب رئيس حزب العدالة والتنمية، بهجوم ساخر ومهين ضد السعوديين، خرج فيه عن الموضوع وقال "يجب على هؤلاء أن يتعلموا أولاً أن يعيشوا كدولة مستقلة".

وفي الليلة نفسها، قال مسؤول كبير في المؤسسة الأمنية التركية، لموقع "مونيتر" وهو الأقرب إلى شخص أردوغان من حزبه "إننا نحاول إصلاح الجسور مع المملكة العربية السعودية، على أمل عزل أبو ظبي. وعندما ينتهي الحظر المفروض على قطر، نستمر في العلاقة الجيدة مع الرياض". فإن كان المسؤول الأمني يعرف أكثر من نائب رئيس الحزب كورتلموس، فإن الأول لا يعرف كل ما في جعبة أردوغان، ولا يستبعد أن يكون الغزل مع الإمارات الخطوة التالية؛

في هذا السياق نفى المسؤولون السعوديون أن هناك خطة لمقاطعة المنتجات التركية، وفي أجواء قمة العشرين الافتراضية، أكدوا أنهم يسعون إلى حل مشكلة قطر، ونوهوا بلهجة مخففة إلى أن هذا الهدف يمكن تحقيقه "بمعالجة المخاوف الأمنية المشروعة". وليس أسرع من أردوغان من اختراع الترياق عندما يريد.

وفي الحقيقة فتحت صيغة التاجر الباب واسعاً للتكهنات. فالطرفان التركي والسعودي لديهما ما يخشيانه بعد أن أطلقت الانتخابات الأميركية بالرئيس دونالد ترامب. فبالنسبة لأردوغان تحديداً، كانت أمامه مجموعة خيارات، بعد أن تردت علاقته بجميع دول الجوار والمنطقة، وأطلقت الانتخابات الأميركية بترامب الذي وقف معه في أزمات التوسع البحري وأعمال التنقيب، وفي شمالي سوريا وليبيا.

منذ الأسابيع الأولى من عمل إدارة ترامب، وجدت حكومة أردوغان ضالتها في مستشار الأمن القومي الأميركي في هذا السياق نفى المسؤولون السعوديون أن هناك خطة لمقاطعة المنتجات التركية، وفي أجواء قمة العشرين الافتراضية، أكدوا أنهم يسعون إلى حل مشكلة قطر، ونوهوا بلهجة مخففة إلى أن هذا الهدف يمكن تحقيقه "بمعالجة المخاوف الأمنية المشروعة". وليس أسرع من أردوغان من اختراع الترياق عندما يريد.

وفي الحقيقة فتحت صيغة التاجر الباب واسعاً للتكهنات. فالطرفان التركي والسعودي لديهما ما يخشيانه بعد أن أطلقت الانتخابات الأميركية بالرئيس دونالد ترامب. فبالنسبة لأردوغان تحديداً، كانت أمامه مجموعة خيارات، بعد أن تردت علاقته بجميع دول الجوار والمنطقة، وأطلقت الانتخابات الأميركية بترامب الذي وقف معه في أزمات التوسع البحري وأعمال التنقيب، وفي شمالي سوريا وليبيا.

منذ الأسابيع الأولى من عمل إدارة ترامب، وجدت حكومة أردوغان ضالتها في مستشار الأمن القومي الأميركي في هذا السياق نفى المسؤولون السعوديون أن هناك خطة لمقاطعة المنتجات التركية، وفي أجواء قمة العشرين الافتراضية، أكدوا أنهم يسعون إلى حل مشكلة قطر، ونوهوا بلهجة مخففة إلى أن هذا الهدف يمكن تحقيقه "بمعالجة المخاوف الأمنية المشروعة". وليس أسرع من أردوغان من اختراع الترياق عندما يريد.



عدلي صادق
كاتب وسياسي
ملسطيني

في ساعة مبكرة من صباح السبت (21 نوفمبر الجاري) أعلنت الرئاسة التركية في أنقرة أن الرئيس رجب طيب أردوغان والعاهل السعودي الملك سلمان بن عبدالعزيز قد اتفقا، عبر مكالمات هاتفية، على تحسين العلاقات الثنائية وحل الخلافات العالقة من خلال الحوار. وقبل وقت الصباح الباكر ذلك، أي في مساء الجمعة المتأخر؛ قالت وكالة الأنباء السعودية الرسمية إن الملك سلمان بن عبدالعزيز دعا الرئيس التركي أردوغان لـ"تنسيق الجهود المبذولة، في إطار جدول أعمال قمة مجموعة العشرين الافتراضية المزمعة خلال الساعات المقبلة".

أنقرة تحاول إصلاح الجسور مع المملكة العربية السعودية على أمل عزل أبو ظبي وعندما ينتهي الحظر المفروض على قطر تستمر في العلاقة الجيدة مع الرياض، وفق مسؤول أمني كبير مقرب من أردوغان

معنى ذلك أن الرياض أعطت أنقرة أفضلية تلامس إشراكها في تنسيق أعمال المؤتمر الذي تستضيفه، مصداقاً لتصريح وزير الخارجية السعودي فيصل بن فرحان آل سعود، الذي قال فيه: إن علاقات بلاده مع تركيا "طيبة وودية"، وعلى الرغم من فجائية الإعلان، على المستوى السياسي الأول؛ إلا أن العديد من الإشارات السابقة دلت على

أن احتقان العلاقة بين البلدين يتجه إلى التخفف من بعض الصديد، ليس تحسباً للتغيرات في السياسة الأميركية وحسب، وإنما أيضاً لكون البلدين اعتادا تاريخياً على الطابع المتارجح للعلاقة بينهما، بحيث لا يفاجأ المراقبون، مثلما فوجئ المؤرخون، بانتقالها سريعاً عبر الحقب، من أقصى الجفاء والصدام، إلى أقصى الوداد والتعاون.

وفي الحقيقة هناك عوامل كثيرة حافظت على هذا التارجح، من أهمها المنحى الديني في الخط الإسلام السنّي.

تكاثرت التحليلات والتخمينات حول دلالات لغة دافئة بين الرياض وأنقرة، بدأت مع مكالمات هاتفية جرت بين العاهل السعودي الملك سلمان بن عبدالعزيز والرئيس التركي رجب أردوغان، كانت ستبقى في إطارها البروتوكولي بالنظر إلى مناسبة قمة العشرين التي استضافتها مؤخرا الرياض، لولا كلمة وردت في البيانين الرسميين الصادرين عن العاصمتين بأن بابا للحوار سيقتنى مفتوحاً بينهما.

ثم جاءت تصريحات ملفقة لوزير الخارجية السعودية الأمير فيصل بن فرحان آل سعود، وصف فيها العلاقات بين بلده وتركيا بـ"الطيبة والودية" وبذلك قطع الطريق على فكرة العداء والمقاطعة التي كانت تتردد في الأقف. وقبل ذلك بإرسال مساعدات طبية وإنسانية عاجلة للمتضررين من الزلزال الذي ضرب مدينة إزمير التركية، وأخيراً بتهنئة الرئيس التركي رجب أردوغان، السعودية بنجاح قمة مجموعة العشرين.

ورغم أن أيًا من المؤسسات الرسمية في البلدين لم تدل بتصريحات تعكس مستوى الخصومة في العلاقات بين الطرفين، إلا أن حالة الإعلام ومسار الأحداث والمناسبات، وهي كافية في العرف السياسي، كانت تؤشر إلى توتر حقيقي بين البلدين.

ذهب أردوغان، المتخبط بعيداً في إبداء العداء لدول الخليج وعلى رأسها السعودية، وحافظت الأخيرة على عاداتها في عدم الانجراف خلف سراب التصريحات العجماء، وتمسكت بنهجها المألوف بعدم حرق مراكب العودة، وأن

على قاعدة اعترافها بأن موظفين سعوديين قد ارتكبوا الجريمة باجتهاد خاطئ. عندئذ ستكون السعودية على وفاق معه ومتعاونة في أكثر من ملف. فقد استنفدت الأزمة عنده، كل زخمها، وقد استغلها على أكثر من صعيد إقليمي ودولي، وحتى على المستوى المحلي، عندما علت نبرته ضد السعودية في ربيع العام 2019 لحشد الناخبين في منافسة البلديات، ليتبدى أمام الجمهور بأنه المتشدد دفاعاً عن حقوق الإنسان.

ثم إن تصفير الخلاف مع السعودية، من شأنه جلب الاستثمارات الخليجية التي يحتاجها الاقتصاد التركي. وفي الحقيقة كانت ولا تزال لعبة أردوغان المفضلة، تبديل الحلفاء، وجعل الضد حليفاً والحليف ضداً، ولا يستبعد أن يمد حبل الوداد لآخرين، إذ ليس أسهل عليه، من تأمين هجوع "الإخوان" والاستمتاع بطيب الإقامة، مثلما تهج "حماس" في إقامتها ومقامها التركي؛

ماكل فلين. وعندما طرده ترامب، يمت حكومة أردوغان وجهها شطر وزارة الخارجية الأميركية، وركزت على مبعوثها إلى سوريا جيمس جيفري، وهي لا تتوقع أن تأخذ من إدارة بايدن ما حصلت عليه من ترامب.

وفي الواقع، لا يخطئ من ينظر إلى التقارب السعودي التركي، من زاوية احتياج كل منهما للآخر، في وجه رياح متوقعة الطرفين أن تهب على الجميع. فمن جهة السعودية، يلعب أردوغان بورقة تحويل قضية خاشقجي إلى المحكمة الجنائية الدولية، رغم أنه فشل في تحقيق ذلك حتى الآن.

ومن جهة أردوغان، فإن هذا هو الوقت الذي يحاول فيه الحصول من السعودية على ما يريد، وأن يعزز موقفه في الإقليم بعد تهديده اللعب بالخيارات التي أمامه كانت عديدة لكنها تقلصت إلى خيار واحد، وهو إجراء مصالحات واحتواء الأزمة مع السعودية وغيرها. وفي موضوع السعودية تحديداً، يكتفي بتحقيقاتها في قضية خاشقجي،

واستغرق نتيجته في تصريحات صاخبة لتصريح أزماته والتغطية على أخطائه الفادحة وحساياته الخائبة. تعيش المنطقة على كف عفريت، والرياض واحدة من دول الاعتدال ورعاية الدعوة إلى الاستقرار بوصفه أهم شروط التنمية والخروج بالمنطقة من مأزقها، وأن ذلك يتحقق وتقع مسؤوليته الأساس على دول المنطقة المعنية، بخفض انبعاثات المشاريع الأيديولوجية والحد من أحلام التوسع التي انفتحت له شهية اللاعبيين الإقليميين مع فورة "الربيع العربي"، وبالكف عن زرع الفتنة التي انطلقت شرارتها بين دول المنطقة، مما جعلها عرضة لابتزاز القوى الدولية وتدخلها.

الآن، هل ستذهب العلاقة بين البلدين إلى أبعد من إعادتها إلى مسار التواصل الإيجابي ونبذ أسباب الخلاف المؤذي للطرفين، ليس ضرورياً، فمسألة النظر إلى جماعة الإخوان المسلمين كواحدة من الطائفة مطالبة بالتعامل معها بوضوح وشفافية؛ فلا مانع من إعادة طرح الاتفاق النووي مع طهران إذا أخذت هواجس عواصم المنطقة في الاعتبار، ولا ضير بعلاقة كاملة مع دولة إسرائيل إذا روعيت حقوق الفلسطينيين الشرعية، ولا مانع من إنهاء الخلاف مع قطر إذا عولجت المخاوف الأمنية، ولا معنى للحرب اليمين إذا كتفت جماعة الحوثي عن التفرغ على بقية شركائها في الوطن.

وأما إصلاح واقع الحقوق داخل البلدان فمرهون بحسابات داخلية ولا يمكن القبول بإملاءات الخارج أيا كان مصدرها. ويعكسها، يعيش الرئيس التركي أردوغان في شبكة معقدة من الورطات التي توحدت فيها قدامه، في حوض المتوسط من سوريا إلى ليبيا امتداداً إلى العراق وقطر وأذربيجان، وحشد من الملفات التي أضعفت من صلابته الداخلية وأوهنت اقتصاده المحلي،

الآن، هل ستذهب العلاقة بين البلدين إلى أبعد من إعادتها إلى مسار التواصل الإيجابي ونبذ أسباب الخلاف المؤذي للطرفين، ليس ضرورياً، فمسألة النظر إلى جماعة الإخوان المسلمين كواحدة من

إن استمرار التوتر بين أنقرة والرياض لن يفيد أردوغان، وهذا الذي جعله يحافظ في ذروة الخلاف على شعرة معاوية بين البلدين، لكي يتحقق التشاور الاضطراري في ملفات يتوافق عليها الطرفان. ومثلما أسلفنا، إن سجل العلاقات المتارجحة تاريخياً، بين البلدين، فيه بابان أو نوعان من الذكرى والحوادث، التساند والتوافق على موقف مشترك، والتضاد مع الخصومة في الباب الثاني. وعندما يختلغان يستنكران الأول بمناسباته وتواريخه وأحداثه، وفي الوداد ليس أبداع ولا أطيح من استنكار الحكايات الطيبة.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي
رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبائي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم
المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 - 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778
الإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk
www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

الرياض وأنقرة: دلالات «الباب المفتوح»

قضايا الخلاف بين البلدين مثلاً، أضحت من وجهة نظر الرياض محسومة، بعد أن عززت مؤخرًا من رفضها للجماعة ببيان هيئة كبار العلماء واعتبارها جماعة إرهابية وغير مؤهلة للعمل في الفضاء العام.

لذلك لا يمكن التعويل على بعض المواقف المتناثرة، رغم ما تحمله من دلالات ملفقة أحياناً، لبناء تصور نهائي عن مسار سياسي عرضة للتذبذب ولتأثير الأحداث الطارئة، ويبقى أن البلدين مهتماً بتطويق الخلاف ويحرصان على ألا يتوسع، وأن يظل في إطاره السياسي.

المقاطعة الشعبية التي اندلعت ضد المنتجات التركية كموقف عفوي ضد مواقف الرئيس أردوغان بحق السعودية، نفتحتها التصريحات الأخيرة لوزير الخارجية السعودي، بل أظهرت بيانات الأحد الماضي زيادة قيمة واردات سعودية من تركيا في أغسطس مقارنة مع الشهر السابق، وفقاً للهيئة العامة للإحصاء السعودية، مما يجعل تركيا تاسع أكبر مصدر للسعودية. ولفهم الصورة كاملة، وبشكل أكثر موضوعية ومنطقية، يجب استيعاب أن العلاقات الفاترة بين السعودية وتركيا هي أحد أعراض المرض الذي أصاب المنطقة عموماً، وأن التشارك في إصلاحها جزء من واجبات عواصمها، والسعودية وتركيا تنتظرهما الكثير من القضايا والملفات التي تتعلق بالسياسة الخارجية، والموقف من الجماعات الإسلامية، وأزمة قطر، والموقف التركي من مصر، ووسائل إعلام تنظم الإخوان المسلمين الناشطة في تركيا، وبذلك فإن العراقيل لإصلاحها كثيرة وستستغرق وقتاً أطول مما هو متوقع؛ وقتاً لا تنقصه المفاجآت غير المرغوب فيها.

استغرق نتيجته في تصريحات صاخبة لتصريح أزماته والتغطية على أخطائه الفادحة وحساياته الخائبة. تعيش المنطقة على كف عفريت، والرياض واحدة من دول الاعتدال ورعاية الدعوة إلى الاستقرار بوصفه أهم شروط التنمية والخروج بالمنطقة من مأزقها، وأن ذلك يتحقق وتقع مسؤوليته الأساس على دول المنطقة المعنية، بخفض انبعاثات المشاريع الأيديولوجية والحد من أحلام التوسع التي انفتحت له شهية اللاعبيين الإقليميين مع فورة "الربيع العربي"، وبالكف عن زرع الفتنة التي انطلقت شرارتها بين دول المنطقة، مما جعلها عرضة لابتزاز القوى الدولية وتدخلها.

الآن، هل ستذهب العلاقة بين البلدين إلى أبعد من إعادتها إلى مسار التواصل الإيجابي ونبذ أسباب الخلاف المؤذي للطرفين، ليس ضرورياً، فمسألة النظر إلى جماعة الإخوان المسلمين كواحدة من

الطائفة مطالبة بالتعامل معها بوضوح وشفافية؛ فلا مانع من إعادة طرح الاتفاق النووي مع طهران إذا أخذت هواجس عواصم المنطقة في الاعتبار، ولا ضير بعلاقة كاملة مع دولة إسرائيل إذا روعيت حقوق الفلسطينيين الشرعية، ولا مانع من إنهاء الخلاف مع قطر إذا عولجت المخاوف الأمنية، ولا معنى للحرب اليمين إذا كتفت جماعة الحوثي عن التفرغ على بقية شركائها في الوطن.

وأما إصلاح واقع الحقوق داخل البلدان فمرهون بحسابات داخلية ولا يمكن القبول بإملاءات الخارج أيا كان مصدرها. ويعكسها، يعيش الرئيس التركي أردوغان في شبكة معقدة من الورطات التي توحدت فيها قدامه، في حوض المتوسط من سوريا إلى ليبيا امتداداً إلى العراق وقطر وأذربيجان، وحشد من الملفات التي أضعفت من صلابته الداخلية وأوهنت اقتصاده المحلي،

شارات الكلام لا تسمن ولا تغني في ميدان الأفعال. اعتقد أردوغان لوهلة أن استثماره في قضية مقتل الصحافي جمال خاشقجي لابتزاز السعودية في عدد من الملفات سيكون مربحاً وضامطاً على الرياض، سافر مستعينا بملف القضية وتجيش جماعات الإخوان ومنصاتهم الإعلامية إلى عواصم العالم المختلفة، لكن النتائج خيبته، وثبط تعامل الرياض مع القضية بتصحيح الخطأ ومعالجة الثغرات الأمنية في أجهزتها الحكومية التي تسببت به ثم إحالة الملف إلى القضاء، كل الأوهام التي توشى أردوغان كسبها، وحافظت الرياض على هدونها وانضباطها.

حتى في أكثر لحظات أردوغان انفعالا، وهو يهدد باحتمال عدم وجود دول الخليج على الجغرافيا مستقبلاً، وأن راية بلاده ستكون مغرورة فوقها، احتفظت الرياض ومن خلفها دول الخليج بهيئتها وثباتها في تجاوز هذه التصريحات الجوفاء، باستثناء قطر التي تقع فعلياً رهينة لأنقرة منذ ثلاث سنوات.

أضحت أنقرة عرضة لقائمة طويلة من العداوات في الخليج والقاهرة وباريس وواشنطن وموسكو، بسبب شهوة التدخل الهستيري التي اقترحتها في الآونة الأخيرة.

ويعتقد أن لوصول بايند تأثيراً على تشجيع البلدين لإعادة النظر في طبيعة العلاقة بينهما، وهذا غير صحيح بمجمعه، فقد تعودت الرياض أن تتعامل مع شخصيات رئاسية أميركية متفاوتة في درجة تفاهمها وتنسيقها على ملفات المنطقة. ولوضع النقاط على الحروف، طرحت السعودية كل القضايا الملحة على

